صفات المنافقين

في

سورة البقرة

– دراسة موضوعية –

إعداد

م.م. أحمد نزهان ردعان

المديرية العامة لتربية الانبار/ تربية قضاء هيت

ناحية البغدادي

ملخص البحث

قسم القرآن الكريم الناس في سورة البقرة . إزاء الدعوة المحمدية إلى ثلاثة أقسام: وصف القسم الأول وهم (المتقون) بأربع آيات ووصف القسم الثاني وهم (الكافرون) بآيتين ووصف القسم الثالث وهم (المنافقون) بثلاث عشرة آية.

تناولت القسم الثالث وهم (المنافقون) واتبعت المنهجية الموضوعية في دراسة هذا الموضوع الذي كان عنوانه (صفات المنافقين في سورة البقرة) والذي أملى عليَّ أن تكون خطة البحث مقسمة على مبحثين . تناولت في المبحث الأول صفات المنافقين في سورة البقرة ، أما المبحث الثاني فتناولت الحكم على المنافقين.

وقد لخص البحث إلى عدة نتائج نوجزها كما يلي:

١ . تعريف النفاق في اللغة والاصطلاح وتكاد التعريفات الاصطلاحية تقترب وتتفق مع التعريفات اللغوية.

٢ . إن للمنافقين صفات منها الكذب والخداع والاستهزاء ولذلك فأن النفاق أشنع من الكفر الصريح ذلك لضمه تلك الصفات.

٣. بعد هذا كله يخرج البحث بنتيجة هي إن الله عز وجل حكم على هؤلاء المنافقين في الدنيا والاستهزاء بهم ويمدهم في الطغيان، أما في الآخرة وهي نهاية المطاف فهم في قعر النار والدرك الأسفل من نار جهنم فلا يخفف عنهم العذاب.

Abstract

Quranic sciences are the most outstanding of all branches of knowledge. Depicting the secrets, miracles and rhetoric of the holy Koran , among which its recitations including the linguistic as well syntactic rules, might not be easy for students to acquire. Knowledge of the holy Koran recitation and its pertaining facilitative role of the rules of grammar, language and meaning represents the apparatus for memorizing the holly Koran and elucidating its understanding.

The relationship between the recitations of the holy Koran and Arabic language is so strong. Recitations are just phases of the performance of the words of the holy Koran and the manner they are articulated. This is supported by prophet Mohammed's (Peace and Prayers be Upon Him) tradition which affirms" This Koran has been descended in seven types of recitations, thus, read whatever you can from it".

تمهيد

تعريف النفاق

١- تعريف النفاق لغة:

النِفاق (بكسر النون- جمع النَّفَقَه- مثل رَقَبَة. رقاب)[١]

والنِفاق (بكسر النون ايضاً- مصدر نافَق، فعل المنافق، وهو اسرار الكفر، واظهار الايمان)[٢]

أما النَفاق (بفتح النون- فمن نفق: الرواج: ومنهُ:- نفقت السلعةُ: (راجت، ونفقتِ الماشية: ماتت)[٣]

وقيل: (أن المنُفِّقُ بالتشديد من النفاق، وهو ضد الكساد)[٤]

لقد اختلف اهل اللغة في اصل النفاق، فقيل: انِهُ مأخوذ من النفق، وهو السرب في الارض الذي يستتر فيه كل من دخله، فسمي النفاق بذلك لان المنافق يستر كفره[٥].

او (انه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره)[٦]

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ) ٢٨٩/٢، مادة (نفق) مطبعة البابي الحلبي بمصر.

(٢) معجم لغة الفقهاء: محمد رواسي قلعة حجي، حامد صادق قنبجي / ٤٨٣٠ مادة (نفق) دار النفائس بيروت ط١: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

(٣) المصدر نفسهُ: ٣٠٥ مادة (نفق) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر: ابن الاثير، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري تحقيق محمود محمد الطناحي، ٩٨/٥، مادة نفق.

(٥) ينظر: لسان العرب . ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ،٣٥٩/١٠، مادة (نفق) دار الفكر- بيروت .

(٦) لسان العرب: ٣٥٩/١٠، مادة (نفق). تاج العروس: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق مجموعة من الاساتذة ٤٣١/٢٦، مادة (نفق).

فاليربوع يحفر لهُ جحراً ثم يسد بابه بترابه، ويسمى هذا المدخل "القاصعاء"[١] ثم يحفر لهُ مخرجاً آخر حتى إذا بقي من التراب قشرة رقيقة تركها حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، وسمي هذا المخرج "النافقاء"[٢] فاذا أَتى عدو أو خطر من قبل القاصعاء فضرب النافقاء براسه، وخرج منهُ هرباً، فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطنهُ، أو يظهر شيئاً ويبطن شيئاً أخر[٣].

وانما شبه النفاق نافقاء اليربوع من حيثَ انهُ في ظاهره أَرض مستوية وباطنه حفرة، قد أعدها اليربوع للتخلص وقت الحاجة فاستطاع بهذا ان يخدع الصائد فكذلك المنافق أَظهر الإسلام وأَبطن الكفر ليخدع النبي (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين بذلك[٤].

بل قال تعالى ﴿ **يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يخَدعون الا إنفُسَهَم ومَا يشعُرَون**﴾.[٥]

وقيل: (انهُ مأخوذ من نافقاء اليربوع، لا من جهة ان المنافق يظهر خلاف ما يبطن ولكن من جهة انه يدخل في الإسلام ثم يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه)[٦]

فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام، ثم يخرج منه غير الوجه الذي دخل فيه فسمي منافقاً، لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاءه فهو يدخل النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء[١].

---

(١) القاصعاء: هو جحر يحفرهُ اليربوع، فاذا فرغ ودخل فيه سد فمه لئلا تدخل عليه حية أو دابة، وقيل: هو فم جحر اليربوع اول ما يبتدئ في حفره، وقيل هو تراب يسد به باب الجحر. (لسان العرب: ١٠٤/٣، مادة (قصع).

(٢) النافقاء: هو جحر الضب واليربوع، وقيل: هو موضع يرققهُ اليربوع من جُحره. فإذا أُتِيَ من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج. (لسان العرب: ٣٥٩/١٠، مادة (نفق).

(٣) ينظر: لسان العرب، ٣٥٩/١٠، مادة (نفق). وتاج العروس: ٤٣٢/٢٦ مادة (نفق) .

(٤) ينظر جمهرة اللغة: ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري،١٥٥/٣ مادة (نفق) (ت٣٢١هـ) مطبعة دائرة المعارف العثمانية– بيروت، ط١ (١٣٤٥هـ).

(٥) سورة البقرة الآية: ٩.

(٦) جمهرة اللغة: ١٥٥/٣. مادة (نفق).

(وأَغلب علماء اللغة ذهبوا إلى أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع لا من النفق)[٢]

لأنَّ النَّفق ليس فيه اظهار شئ، وابطان شئ آخر كما هو الحال في النفاق وكونهُ مأخوذ من النافقاء باعتبار انَ المنافق يظهر خلاف ما يبطن أقرب من كونه مأخوذ منهُ باعتبار انهُ يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، لان الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق، هو إظهار شئ وإخفاء شئ آخر، اضافة إلى أن المنافق لم يكن يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منهُ، لأن المنافق أعلنَ إسلامهُ خداعاً للرسول "صلى الله عليه وسلم" والمؤمنين لمصلحة ما، وليس سمعاً وطاعة لتلبية نداء الإيمان، أو لم يكن يدخل في الإسلام دخولاً كاملاً باعتبار ان الإيمان تصديق وقول وعمل، اما المنافق فانهُ يقول بلسانه دون التصديق والعمل[٣].

٢–تعريف النفاق اصطلاحاً:–

عُرّفه الجرجاني بأنهُ (إظِهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب)[٤]

أما صاحب اللسان فيقول: إنِ النفاق أو المنافق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وان كان اصلهُ الذي أُخذ منهُ في اللغة معروفاً، وهو الذي يستر كفره، وَيُظهِرُ إيمانه، حيثُ يظهرون إسلامهم تمثيلاً، اما خوفاً على انفسهم أو خداعاً للمسلمين، ولكنهم يبطنون الكفر في داخلهم[٥].

ومنهم من قال بان النفاق هو (من يستر كفره، ويظهر إيمانه)[٦]

---

(١) ينظر لسان العرب: ٣٥٩/١٠،. مادة (نفق).

(٢) تاج العروس: ٤٣١/٢٦،. مادة (نفق) .

(٣) ينظر لسان العرب: ٣٥٩/١٠ مادة (نفق) . وتاج العروس ٤٣١/٢٦، مادة (نفق) .

(٤) التعريفات: الجرجاني، الشريف ابي الحسن علي بن محمد علي الحسيني ٢٤١ (ت٨١٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٣٥٩/١٠ مادة نفق. والنهاية لابن الاثير: ٩٨/٥ وتاج العروس: ٤٣١/٢٦ مادة نفق.

(٦) القاموس المحيط: الفيروز آبادي٢٩٦/٣ مادة (نفق) مجد الدين محمد بن يعقوب، المؤسسة العربية للطباعة بيروت– لبنان.

وعرفه ابن كثير رحمه الله بأنه (إظهارُ الخَير وإسرار الشر، فالمنافق هو الذي يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخلَهُ مخرجه، ومشهُده مغيبهِ)[١]

قال السيوطي رحمه الله: (ان لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، والمنافق اسم إسلامي، لم يعرف في الجاهلية)[٢]

والنفاق في الإسلام هو: إظهار الإسلام، وابطان الكفر، إذن: من تلك التعريفات التي ذكرتها يتبين ان النفاق هو، ستر الكفر في القلب، وإظهار الإيمان باللسان[٣].

بعد ان بينت مفهوم النفاق في اللغة والاصطلاح، رأيت ان بين التعريفين نقطة لقاء فيما يأتي بيانها:-

١- إنّ التعريف اللغوي يتفق مع التعريف الاصطلاحي في بيان ان المنافق يشكل الخطر الأكبر على المسلمين.

٢- أنِ النفاق مصطلح لم يعرفهُ العرب إلا بعد مجيء الإسلام، فهو مصطلح إسلامي.

٣- النفاق هو: ستر الكفر في القلب: وإظهار الإيمان باللسان فالمنافق هو ما يقول بلسانه دون التصديق والعمل، اما المؤمن فَهو أن يكون إيمانه نابعاً عن صدق وقول وعمل.

المبحث الأول: صفات المنافقين في سورة البقرة

(تمهيد)

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٤٧/١، (ت ٧٧٤هـ) دار المعرفة، بيروت– لبنان.

(٢) المزهر في علوم اللغة وادابها، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ٣٠١/١، (ت٩١١هـ) مطبعة البابي الحلبي.

(٣) ينظر المزهر للسيوطي: ٣٠١/١. ولسان العرب: ٣٥٩/١٠ مادة نفق. وتاج العروس: ٤٣١/٢٦، مادة نفق.

إن للمنافقين صفات كثيرة بينّها لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، حيث نجد إن هذا النوع من المنافقين من علية الناس الذين لا يجدون في أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح، أو يجدون في نفوسهم الجرأة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح، وهم في الوقت نفسه يتخذون لأنفسهم مكان المترفع على جماهير الناس.

حيث إنهم يَدَّعونَ الإيمان بالله واليوم الأخر، وهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين انما هم منافقون، نراهم يتزينون بزي الإسلام، كلامهم طيب أمام النبي (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين، ومنظرهم يعجب الناظرين إليهم، ولا فرق بين المؤمنين والمنافقين في المظاهر عبادة وعادة، إلا إن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون لذلك فانهم يكونون أشد خطر على الإسلام من الكفار صراحة، لأنهم أعداء في داخل الامة[١].

وتختلف صورة المنافق عن الكافر الصريح الكفر، ذلك ان الكافر لا يشكل خطراً على المسلمين لأن كفرهم ظاهر أمام أعين المسلمين، ولكن الخطر كل الخطر من هؤلاء المنافقين، الذين يتحدثون بالإيمان والإحسان، ولكن قلوبهم مملوءة بالكفر والحقد على المسلمين[٢]، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الاسَفَلِ مِنَ النَّارِ**[٣]﴾

(لذلك وصف الله تعالى في سورة البقرة حال الكفار في آيتين، وحال المنافقين في ثلاثَ عشرةَ آيةً، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم، واستجهلهم واستهزأ بهم، ودعاهم صماً بكماً عمياً، وضرب لهم شنيع الأمثال)[٤].

الصفة الأولى

الكذب في الإيمان

(١) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ٤٥/١ دار احياء التراث العربي بيروت– لبنان، ط٣.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: المراغي، احمد مصطفى ٤٨/١ دار احياء التراث العربي .

(٣) سورة النساء من الآية: ١٤٥.

(٤) تفسير المراغي: ٤٨/١.

الكذب: جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة والنميمة تنتج البغضاء. والمنافقون ظواهرهم لا تختلف عن بقية الناس من المؤمنين، ألسنتهم ألسنة المسالمين، وقلوبهم قلوب المحاربين[١].

فهذا الكلام ينطبق على المنافقين لأنهم بنوا نفاقهم على الكذب والخداع، حيث تظاهروا بالإيمان، وادَّعَوا انهم مؤمنون بالله تعالى وباليوم الآخر، وليس الأمر كذلك بل عكس ذلك، اذن هم قد كذبوا، لأن الكذب: هو الخبر عن شئ على خلاف ما هو به. لذلك فالمنافقون اخبروا بلسانهم على خلاف ما يكمن في قلوبهم من التكذيب والانكار والجحود[٢] قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾.[٣] هذه الآية جاءت لتكشف عن طبيعة المنافقين الذين يكتمون في دخائلهم الكذب، ثم يتظاهرون في محاكاة مصطنعة أنهم مؤمنون، وذلك حكم قرآني حاسم، وهو ان هذا الصنف من الناس كفرة، وانهم جاحدون كاذبون فهم يكذبون على الله ويكذبون على المؤمنين، إذ يتظاهرون بالإيمان والله سبحانه يشهد أنهم كذَّابون[٤]وان قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة:٨

(انها نزلت في منافقي أهل الكتاب منهم عبد الله بن أُبي ابن سلول[٥]، ومعتب بن قشير وجد بن قيس، واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الإسلام ليسلموا

---

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين: الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: ٢٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير أومفاتيح الغيب: الرازي، الإمام محمد فخر الدين بن الإمام ضياء الدين عمر الرازي، ٧٢/٢ (ت ٦٠٤هـ) دار الفكر .

(٣) سورة البقرة من الآية: ٨.

(٤) ينظر تفسير سورة البقرة: امير عبد العزيز، ٣١ دار الفرقان– بيروت، ط١: ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥.

(٥) عبد الله بن ابي بن سلول: هو عبدالله بن الحارث بن عبيد الخزرجي، ابو الحباب المشهور بابن سلول وسلول جدته لابيه، من خزاعه: رأس المنافقين في الإسلام (الاعلام: الزركلي، خير الدين،:٤/ ١٨٨، ط٣).

بها من النبي (صلى الله عليه وسلم) وأَصحابه، واسروا الكفر واعتقدوه وَأكثرهم من اليهود، وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالإيمان ويقر بهِ وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها)[١].

ان هذه الآية جاءت واضحة تبين لنا الكذب وعدم الإيمان الذي كان يتحلى به أهل النفاق، لذلك في قوله تعالى ﴿**ومن الناس**﴾ أي بعض هؤلاء الناس، وهم المنافقون من يقول بلسانه آمنا بالله هذا في ظاهر كلامهم ولكن قلوبهم قاسية فانهم يدعون خلاف ما يبطنون، لذلك انهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر.

وما أعدّ الله لهذا اليوم يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. بقلب خالص من النفاق والكذب، والخداع وغيرها من الصفات الرذيلة التي تبعدنا عن الله سبحانه وتعالى، اما قوله تعالى ﴿ **وما هم بمؤمنين**﴾ أي وما هم بداخلين في عداد المؤمنين الصادقين الذين يشعرون بعظيم سلطان الله، ويعلمون انه مطلع على سرهم ونجواهم، إذ هم كانوا يكتفون ببعض ظواهر العبادات، لذلك فأن الله سبحانه وتعالى نفى عنهم الإيمان وذلك لانطوائهم على النفاق[٢].

وهناك في الحقيقة آيات وأحاديث كثيرة تدل على ما يتصف به هؤلاء المنافقين من الكذب من كلامهم، منها شهادتهم بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى ﴿ **إذا جاءَكَ المنُافقُونَ قَالُوْا نشَهْدُ إنَّكِ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلمَ إنَّكَ لَرَسُوْلهُ وَالله يَشهْدُ إنَّ المنُافِقِينَ لَكاذِبُوْنَ**﴾.[٣] ورواية عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال "آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: البغدادي، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، ٣٢/١ (ت٧٢٥ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢ ١٧٣٥هـ-١٩٥٥م .

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ٤٩/١.

(٣) سورة المنافقون . الآية:١.

أخلف، وإذا ائتمن خان"[١] وزاد في رواية لِمسلم: "وان صام وصلى وزعم انه مسلم"[٢] وكان سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يدعو فيقول في دعائهِ: "اللهم طهر قلبي من النفاق، وصدري من الغل، وأعمالي من الرياء.."[٣]

الصفة الثانية

الخداع

هو الحيلة والمكر، والمخادع يظهر خلاف ما يبطن، وهؤلاء يخادعون رسول الله والذين آمنوا، وضرر الخداع راجع إليهم، وهم لا يشعرون بذلك لأن الذنوب سرت في قلوبهم، فاعتادوا عليها، فتراهم يقولون ما لا يفعلون جعلوا رأس مالهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب، فاعتقدوا انهم ربحوا بخداعهم لله والذين آمنوا، فأحاط الجهل بعقولهم فكان خداعهم راجع إليهم وهم في غفلة من أمرهم[٤].

قال تعالى ﴿ **يخادعُونَ الله وَالذَينَ آمنَوا. وما يَخْدعونَ إلا أنفسَهْم وَمَا يَشْعرونَ** ﴾.[٥] فيخادعون من الخدع، وهو الايهام واظهار الخير للغير مع إخفاء إرادة الشر به أي انهم يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر محاولين بذلك أن يخدعوا الله والذين آمنوا[٦] (والمخادعة: استعمال الخدع من الجانبين: وهو اظهار الخير،

---

(١) صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل ابو عبد الله، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى ديب، دار ابن كثير واليمامة– بيروت، ط٣–١٩٨٧م، ٢١/١.

(٢) صحيح مسلم: القشيري، مسلم بن الحجاج ابو الحسن، (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي–بيروت، ٧٨/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبه: الكوفي، ابوبكر عبد الله بن محمد بن ابي شبيه، (ت٢٣٥هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد– الرياض، ط١٤٠٩/١هـ، ٦٧/٦.

(٤) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن: الشيخ طنطاوي جوهري ٢٩/١، مطبعة البابي الحلبي بمصر ط٢، (١٣٥٠هـ).

(٥) سورة البقرة . الآية: ٩.

(٦) ينظر: المنافقون في القرآن الكريم: الحميدي، عبد العزيز عبدالله: ٣٥.

واستبطان الشر)[١] ومخادعة الله مخادعة رسوله، لقوله تعالى ﴿ **من يطع الرسولَ فقد اطاع الله**﴾.[٢] فخداعهم لله والمؤمنين، هو اظهار الايمان والمحبة، واخفاء الكفر والعداوة وخداع الله والمؤمنين إياهم مسالمتهم، وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء، وحصن الأموال وغير ذلك، ولكن الفرق بين الخداعين هو:

إن خداعهم لا ينجح إلا في أنفسهم وذلك يكون بإهلاكها وتحسيرها، لأنهم في غفلة عن أُمور دينهم ودنياهم، أما خداع الله فيؤثر فيهم أبلغ تأثير، ويوبقهم أشدّ ايباق[٣] في الحقيقة اننا نجد ان بعض الناس، قد آمن بالله واليوم الآخر باللسان فقط، ولكن نجد قلبه قد ملئ بالكفر والضلال، فالله سبحانه وتعالى يرد عليهم دعواهم بأنهم ليسوا مؤمنين، ولاشك أنهم في إظهارهم الإيمان واخفائهم الكفر في صورة المخادعين لله، والله سبحانه وتعالى يعلم بحالهم حيث إنهم ليسوا بمؤمنين، بل انهم أشد ضرراً من الكفار، ومع ذلك يأمر بإجراء أحكام الإسلام الظاهرة عليهم كانهُ يخادعهم، وهذا ما نجده عند المسلمين إذ امتثلوا أمر الله فيهم كأنهم مخادعون لهم، وهذا من باب التشبيه والتمثيل، وَإلا فالله عالم بهم لا تجوز عليه مخادعتهم وقادر على إيقاف المسلمين على حالهم حتى لا ينخدعوا بهم، وليس خداعهم وعاقبتهم إلا وَبالاً عليهم، وهم في غفلة عن أمرهم، وذلك لأن قلوبهم قد ملئت شكاً وغليظاً ونفاقاً[٤].

اذن انهم في خداعهم لله سبحانه وتعالى، والذين آمنوا استطاعوا من جراء ذلك ان يتمتعوا بما يتمتع به المسلم من عصمة المال والدم، والحصول على المنافع المادية والمعنوية التي يحصل عليها المسلم وليتمكنوا من الكيد للمسلمين في الخفاء، وإلحاق الضرر بهم وهم آمنون من نقمتهم بهم، فمع استطاعتهم الحصول على تلك

---

(١) تفسير: القاسمي المسمى محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الدين ٤٣/٢، دار الكتب العربية ط١: ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

(٢) سورة النساء من الآية: ٨٠.

(٣) ينظر: محاسن التأويل . للقاسمي ٤٣/٢.

(٤) ينظر: التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود ١٧/١، مطبعة الاستقلال الكبرى. القاهرة، القاهرة، ط٦: ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م .

المكاسب الدنيئة، أو بعضها، لكنهم قد خسروا ما هو أكبر من ذلك، حيثُ خسروا سعادة الدنيا والآخرة خسروا سعادة الدنيا، لأنهم عاشوا في رعب وقلق نفسي دائم، لانهم في الحقيقة كانوا يتوقعون ان ينكشف أمرهم في أي لحظة، فيتمكن منهم المؤمنون وخسروا سعادة الآخرة، لأن الله تعالى قد أعدَّ لهم العذاب الأليم في الدَّرك الأسفل من نار جهنم، وهذه هي الخسارة الكبرى التي لا تعدلها خسارة[١] وأختتم كلامي وأقول، لو ان كل إنسان أظهر نفسه على حقيقته، وأدَّى واجبه من دون أن يختال أو يخادع، أو يوقع بالآخرين لكان عندنا المجتمع الصالح بإذنه تعالى.

الصفة الثالثة

مرض القلوب

المرض، هو كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة والاعتدال من علة أو نفاق أو تقصير. وقيل ان في عقائدهم فساد وهم المنافقون وذلك اما أن يكون شكاً أو جحداً أو تكذيباً[٢].

قال تعالى ﴿ **في قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ولهُمْ عَذَابٍ إليمٌ بَما كانُوا يَكذِبُونَ**﴾.[٣]

حيث ذكر في تفسير قوله ﴿ **في قلوبهم مرض**﴾ أي في قلوبهم شكٌ، فزادهم الله مرضاً أي شكاً، وان هذا المرض كان قد قصد به هو مرض في الدين، وليس مرض في الأجساد وهم المنافقون، الذين نهكت قلوبهم أمراض الشبهات والشهوات، فجعلتها قلوباً قاسية مملوءة بالحقد والكراهية– فعجز عن علاجها الأطباء العارفون[٤]

وفي الحقيقة أَنَّ للمرض نوعين، الأول: أن يكون حِسياً وهو اعتلال البدن.

الثاني: أن يكون معنوياً، وهو اعتلال القلب بما يخرجه عن الاستقامة كالشك والحيرة والجبن والضعف، والمراد بالمرض في قوله تعالى: ﴿ **في قلوبهم مرض**﴾ هو مرض

(١) ينظر: المنافقون في القرآن الكريم: ٤٠.

(٢) ينظر: فتح القدير الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت ١٢٥٠هـ) ١ /٣٠.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٠

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير: ٤٨/١.

الشك، والشبهات والنفاق وذلك ان القلب يعرض لهُ مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله هو مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية.

فالكفر والنفاق، والشكوك والبدع، كلها من أمراض الشبهات. والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها من مرض الشهوات[١] والواقع أن أغلب المنافقين لم يكونوا في شك من ان هذا القرآن منزّل من عند الله، ولا ان ما أمرهم به النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الحق الذي يجب اتباعه، ولكن لضعف ارادتهم لم يستطيعوا السيطرة على أهوائهم المنحرفة، ولم يستطيعوا التحكم في غرائزهم الجامحة، وذلك لأنهم في شك من أمرهم والشك هو تردد بين الأمرين، والمنافق متردد، كما ان المريض متردد بين الحياة والموت[٢].

اما قوله ﴿ **فزادهم الله مرضاً**﴾ هذه الآية الكريمة تحتمل معنيين:-

أحدهما:- الإخبار، وهو أن الله سبحانه يزيد هؤلاء المنافقين مرضاً على مرضهم.

وثانيهما:- الدعاء على المنافقين كي يزيدهم الله مرضاً فوق مرضهم فيكون معنى الكلام زادهم الله شكاً ونفاقاً جزاءاً على كفرهم[٣] وقد ورد في هذه الآية دليل هو:- (جواز الدعاء على المنافقين والطرد لهم، لأنهم شر ما خلق، أما قوله تعالى ﴿**ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون**﴾ فـ- اليم- في كلام العرب معناه مُؤلِم أي موجع مثل السميع بمعنى المُسْمِع، وسبب ذلك انهم كاذبون فقد كذبوا على الله، وكذبوا على المؤمنين وقالوا آمنا وهم ليسوا بمؤمنين)[٤] .

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر ١/٣٢ (ت١٣٧٦هـ) ط٤، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

(٢) ينظر: الاساس في التفسير: سعيد حوى ١/٧٠، دار السلام للطباعة ط١: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٣) ينظر: تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ١/ ٣٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ١/١٩٧ (ت٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي، ط٣: ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .

وكما يقال ان لكل داء دواء، فالنفاق داء خطير ومرض ابتليت به الامة الإسلامية فمزقت صفها وشَرختْ وحدتها، ولكن القلوب التقية الطاهرة تميز قلوب المنافقين بما اتاها الله من قوة يقين، ونور من رب العالمين.

الصفة الرابعة

التكبّر والاعتزاز بالإثم

هذه الصفة ملازمة لهم لا تنفك عنهم انهم يتكبرون عن الحق، يتكبرون عن قبول هذا الحق تكبراً على من آمن به (وواضح أنهم كانوا يأنفون من هذا الاستسلام للرسول (صلى الله عليه وسلم) ويرونه خاصاً بفقراء الناس غير لائق بالعلية ذوي المقام)[1].

فالاعتزاز بالإثم هو الكبر في أبشع صوره، والغرور في أحط ما يكون وانها لصفة مرذولة حقاً هو ان يتضح للمرء خطأه فيصرُ عليه ولا يعترف به ولا يحبُ ان يستغفر من سوء ما فعل، أولئك الذين يصرون على باطلهم ويتمسكون بإثمهم حتى لو اتضح أمام أعينهم كفلق الصبح، ولو ظهر أمام أنظارهم كضوء الشمس ان نفوسهم الضعيفة تأبى عليهم إلا الإصرار على الإثم والجمود أمام الباطل بل وتأبى عليهم قلوبهم التي امتلأتْ كبراً وزوراً وبهتاناً أن تتراجع أمام ضوء الحق القوي ولو بدا للناس جميعاً.. بل وتصر هذه القلوب التي لم تنطو إلاَّ على الشر، إلا تمسكاً بالباطل ولو وضح أمره وانكشف سره. انها بحق لصفة مرذولة دنيئة، لا يتصف بها إلا من حُقرت نفسهُ، وانحطت سريرته[2].

قال تعالى ﴿ **وإذا قِيل لَهُم آمنُوا كَمَا آمن النَاسُ قَالَوا أنؤمِنُ كَمَا آمن السُفَهَاءُ الا انَهُم همُ السُفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعَلمُونَ**﴾.[3] فالمعنى، واذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس أي كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به، واطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر واجتناب النواهي. قالوا ﴿ **أنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ يعنون– لعنهم

---

(١) في ظلال القرآن: ٤٧/١.

(٢) ينظر: المنافقون وشعب النفاق: المحامي، حسن عبد الغني ٧٥، دار البحوث العلمية– الكويت ط١: ١٤٠١هـ–١٩٨١م .

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٣.

الله– أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (رضي الله عنهم اجمعين) ﴿ **الا انهم هم السفهاء**﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم ﴿ **ولكنْ لا يعلمون**﴾ أي جعلهم انهم لا يعلمون بحالهم في الظلالة والجهل[١] (في الحقيقة ان قولهم ﴿ **أنؤمنُ كما آمنَ السفهاء**﴾ كانوا يعنون به أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) وان هذا القول من المنافقين حيث كانوا يقولونه في خفاء واستهزاء فَأطلعَ الله نبيهُ والمؤمنين على ذلك، وقرر ان السفه ورقة الحلوم، وفساد البصائر انما هي في حيزهم وصفة لهم واخبر انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون للّريْن الذي على قلوبهم)[٢].

وروي ان قوله تعالى ﴿ **وإذا قيل لهم آمنو..**﴾ إلى آخر الآية، انها نزلت في منافقي اليهود، أي وإذ قيل لهم يعني اليهود.. آمنوا كما آمن محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من المسلمين أو آمنوا كما آمن الناس، والمراد بالناس هنا هو عبد الله بن سلام وأصحابه، قالوا:– ﴿ **آنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ يعني الجهال والخرقاء، واصل السفه في كلام العرب هو الخفة والرقة، حيث يقال ثوب سفيه، إذا كان ردئ النسيج خفيفهُ، أو كان بالياً رقيقاً[٣].

وقوله ﴿ **ولكنْ لا يعلمون**﴾ يعني ومن تمام جهلهم انهم لا يعلمون انهم في ظلال وجهل.

بقي أن أُبينّ أن الله سبحانه وتعالى وصف المنافقين في الآية الأولى وقال– بانهم لا يشعرون– وفي هذه الآية قال– بأنهم لا يعلمون– والسبب في ذلك، هو انهُ في هذه الآية ذكر السفه وهو الجهل، فكان ذكر العلم هو المناسب لهُ، ولأن الإيمان يحتاج إلى نظر واستدلال من أجل أن يكتسب الناظر المعرفة فناسب في ذلك ذكر العلم، أما الفَساد في الأرض فانه أمرُ مبني على العادات فهو كالمحسوس فناسب هناك أن يذكر عدم الشعور[٤].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١/٥٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٠٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز . لابن عطية: ١/١٦٩. والجامع لأحكام القرآن: ١/٢٠٥.

(٤) ينظر: الاساس في التفسير: ١/٧٢.

قال تعالى ﴿ **وَاذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله اخَذَتْهُ العِزَّة بالاثمِ فَحَسْبهُ جَهَنَّمُ وَلَبئسَ المِهَاد**﴾.[١]

فبعد ان قصد هذا المنافق الإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل ونشر الخَراب والدَّمار، إذا فعل هذا كله، ثم قيل له اتقِ الله في فعلك، تذكيراً لهُ بخشية الله والحياءِ منهُ، أو يترك الفساد والنفاق، لكن استكبر أن يوجه لهُ هذا الكلام، حيث ﴿ **أخذتْهُ العزةُ بالاثم**﴾ أي احتوت عليه واحاطت به فصار كالمأخوذ بها (والعزة) في الأصل خلاف الذل، وأُريد بها الأنفة والحمية مجازاً، أي حملته الأنفة وحَمّيةُ الجاهلية على فعل الإثم الذي أمَرِ باجتنابه[٢].

وإرداف العزة بالإثم. لرفع اللبس عنها، وتقريبها إلى الفهم وذلك لأن العزة قد تكون محمودة ومذمومة، فمنها ما تدل على أنها محمودة في قوله تعالى ﴿ **ولله العِزةُ ولرسُولِهِ وللمؤمنينَ**﴾.[٣]، فلو اطلقت لتوهم انها محمودة، ولذلك أُردفت بالإثم: ﴿**فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ أي كافيهِ جهنم التي وقودها الناس والحجارة جزاءَ لهُ وعقاباً، والمهاد: يعني العذاب وفي لغة العرب– تعني الفراش وهو ما يوطأ للصبي لينام عليه، وعن ابن مسعود (رضي الله عنهُ) قال: من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتقِ الله. فيقول: عليك نفسك، أي اصلح نفسك ولا تصلح غيرك[٤].

الصفة الخامسة

الاستهزاء والسخرية

صفة الاستهزاء والسخرية تكمن وتستقر في نفوس وقلوب المنافقين حيث يظنون انهم على الحق المبين، وان المؤمنين على الضلال المبين فيسخرون ويستهزئون بالمؤمنين، هذه هي صفة أُخرى من صفات المنافقين فالكلام ينطبق

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٠٦.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الالوسي، ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي٢/١٤٤–١٤٥. (ت١٢٧٠هـ) دار الفكر .

(٣) سورة المنافقون من الآية: ٨

(٤) ينظر: لغة المنافقين في القرآن: اللاشين١/٧٤، عبد الفتاح، دار الرائد العربي بيروت– لبنان، ط١ ١٤٠٥:١هـ– ١٩٨٥م .

عليهم، لأنهم بنوا نفاقهم على الكذب والخداع، فعلى هذا الأساس يهزؤون من المؤمنين خلفهم ويمدحونهم أمامهم، لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين ووجه ينقلب به إلى اخوانه من الملحدين ولهُ لسانان: أحدهما يقبلهُ بظاهره المسلمون، والآخر يترجم له عن سره المكنون(١).

قال تعالى ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾.(٢)

أي وإذا رأى المنافقون المؤمنين واجتمعوا بهم قالوا كذباً وزوراً وبهتاناً: آمنا كإيمانكم وصدقنا كتصديقكم، وإذا انفردوا بأمثالهم من دعاة الكذب والفتنة والإفساد قالوا لهم: إنَّا على عقيدتكم، وموافقوكم على دينكم، ولكن كنا نتحلى بالإيمان في الظاهر فقط من أجل الحفاظ على أموالنا وأولادنا ونسائنا من أيديهم ونطلع على أسرارهم ونواياهم(٣).

إذن: كانوا يظهرون بوجهين ويتكلمون بلسانين وقد ثبت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انهُ قال (من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)(٤) وقال (صلى الله عليه وسلم) (من كان لهُ وجهان في الدنيا كان لهُ يوم القيامة لسانان من نار)(٥).

في الحقيقة حصل خلاف بين المفسرين في المراد (بالشيطان) في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين، ٣٧٩.

(٢) سورة البقرة . الآية: ١٤.

(٣) ينظر: تفسير المراغي، ٥٦/١.

(٤) صحيح البخاري: ٢٦٢٦/٦، وصحيح مسلم: ٢٠١١/٤.

(٥) سنن أبي داود: السجستاني، سليمان بن الاشعث، (ت٢٧٥هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر– بيروت، ٤/ ٢٦٨.

يقول الامام القرطبي (رحمه الله) (اختلف المفسرون في المراد بالشياطين هنا فقال ابن عباس (رضي الله عنه) والسُدِّى: هم رؤساء الكفر، وقال الكلبي: هم شياطين الجن، وقال جمع من المفسرين: هم الكهان، ولفظ الشيطنة الذي معناه، البعد عن الإيمان والخير يعم جميع من ذكر والله اعلم)[١].

(لقد روي في سبب نزول هذه الاية عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال:- نزلتْ هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال عبدالله بن أبي: انظروا كيف أردَّ عنكم هؤلاء السفهاء فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال مرحباً بالصديق سيد بني تميم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه ومالهُ لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه ومالهُ لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال، مرحباً بابن عم رسول الله سيد بني هاشم ما خلا رسول الله.

ثم افترقوا فقال عبدالله لأصحابه كيف رأيتموني فعلتُ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلتُ فاثنوا عليه خيراً، فرجع المسلمون إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) واخبروه بذلك فنزلت الآية)[٢] وذُكِرَ انَ علياً (رضي الله عنهُ) قال: يا عبد الله، اتقِ الله. ولا تنافق فإن المنافقين شرُ خلْقِ الله تعالى.. فقال لهُ مهلاً يا أبا الحسن افي تقول هذا والله انّ ايمانَنا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم.. ثم افترقوا فقال ابن أُبيّ لأصحابه، أرأيتم ماذا فعلتُ، هكذا اريدكم ان تفعلوا اذا رأيتموهم، فاثنوا عليه خيراً، وقالوا ما نزال بخير ما عشتَ فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخبروه بذلك فانزل الله تعالى هذه الآية، فهذا هو النفاق بعينه[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/١.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر / ٧ (ت٩١١هـ) المكتبة الشعبية، بيروت–لبنان، ط٢.

(٣) ينظر: تفسير ابي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ابي السعود، محمد بن محمد العمادي، ٣٦/١ (ت٩٥١) .

ان ما يفعلهُ المنافقون وغيرهم من الكفار من جميع الأفعال القبيحة منها استخفافهم بالمؤمنين أو سخريتهم بهم فَهذا لا يجعلهم ان يتصورا ان المؤمنين وحدهم أو انهم معزولون بل هم يركنون إلى الله تعالى العلي القدير الذي أوجدهم واوجد أعداءهم من العدم، والذي بيده مقاليد أُمورهم جميعاً وهو سبحانه يعلم بواطن أُمورهم، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور وسوف يكشفهم للمؤمنين إن شاء الله حتى يكونوا منهم على حذر دائم ويقين(١).

المبحث الثاني: الحكم على المنافقين

الحكم الأول: حكم المنافقين في الدنيا

أجمع العلماء على أن المنافق انما يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم يعامل كذلك وإن كان نفاقه مقطوعاً به: وسبب ذلك، ان الأحكام الإسلامية في مجموعها تتكون من جانبين:-

الأول: جانب يطبق في الدنيا ويكلف المسلمون في تطبيقه وتنفيذه في المجتمع ويتولى ذلك الخليفة أو رئيس الدولة.

الثاني: جانب يطبق في الآخرة ويكون أمره عائداً إلى الله سبحانه.

فالجانب الأول، يقوم أمره على الأدلة القضائية المادية والمحسوسة، بحيث لا يصدر شئ من النتائج إلاَّ بموجب دَليل مادي محسوس، أما الدلائل الوجدانية، والقرائن الاستنتاجية فليس لها أي أثر في هذا الجانب.

وأما الجانب الثاني، فيقوم أمره على ما استقر في القلوب والصدور ومرد القضاء في ذلك هو أمر راجع إلى الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء وهو على كل شئ قدير(٢).

إنَّ الله سبحانه وتعالى عامَلَ المنافقين معاملة المستهزىء في الدنيا، لأنه كان يطلع الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها.

---

(١) ينظر: المنافقون في القرآن الكريم / ٤٢.

(٢) ينظر: فقه السيرة، البوطي، محمد سعيد رمضان، ٢٤٦.

قال تعالى ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾.[١]، إذن كانت صفة الاستهزاء عائدة إليهم وهم بعيدون كل البعد لا يدركون ما يفعلون فهم غافلون جاهلون في أمور دينهم ودنياهم فلا يدركون الواقع المحسوس ولا يشعرون بما يفعلون[٢]. في الحقيقة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد لاقى صعوبات وعقبات كثيرة من قبل المنافقين فبالرغم من ذلك كله لم يعمل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) على قتل المنافقين مع علمه بهم وقيام الشهادة عليهم أو على أكثرهم، والسبب الذي جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يمسك عن قتل المنافقين مع علمهِ بنفاقهم قد اختلف فيه العلماء على عدة أقوال منها:-

أولاً: قال بعض العلماء، انما لم يقتلهم، لأنه لم يعلم حالهم أحد سواه، وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يحكم بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام هل يحكم بعلمه أو لا ؟

ثانياً: قال أصحاب الشافعي (رحمهم الله) انما لم يقتلهم لأن الزنديق الذي يستر الكفر ويظهر الإيمان يستتاب ولا يقتل، فهذا المتأخر من أصحاب الشافعي الذي قال أن استتابة الزنديق جائزة قال قولاً لم يصح لأحد.

ثالثاً: قيل أنه لم يقتلهم لمصلحة ولتأليف القلوب عليه فلا تنفر منه وقد أشار هو (صلى الله عليه وسلم) إلى هذا المعنى فقال. أخاف إن يتحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه، وقد كان يعطي المؤلفة قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم[٣].

وهناك قول رابع يضيفه لنا الإمام القرطبي (رحمه الله) في تفسيره فيقول (إن الله سبحانه وتعالى كان قد حفظ أصحاب نبيه (عليه السلام) بكونه ثبتهم على الإيمان، وان المنافقين لا يفسدونهم ولا يفسدون دينهم فلم يكن في تبقيتهم ضَرر)[٤].

إن قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ .[٥]

---

(١) سورة البقرة من الآية: ١٥

(٢) ينظر: جامع البيان عن تفسير آي القرآن: ١٦١/١. والتفسير الكبير: ٧٠/١

(٣) ينظر: أحكام القرآن: ابن العربي، لأبي بكر محمد بن عبد الله، دار الفكر (ت ٥٤٣هـ) ١/ ١٢. والجامع لأحكام القرآن: ١٩٨/١-١٩٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٠/١.

(٥) سورة التوبة الآية: ٧٣ .

ان هذه الآية جاءت صريحة تتحدث عن الأمر بمجاهدة المنافقين، وإنذار للمنافقين من استمرار نفاقهم، وإذا لم يتوقفوا عن النفاق فالجهاد عليهم واجب امتثالاً لهذا الأمر الإلهي فيكون جهادهم اما بالسيف. إذا أظهروا النفاق كأن يقولوا: انما قلنا لا إله إلا الله محمد رسول الله، تقية نِفاقاً لا إيمانَاً أو أن يكون جهادهم بالغلظة أو الكلام البليغ أو بغيرها من المواقف والوقائع(١).

الحكم الثاني: حكم المنافقين في الآخرة

بعد أن تكلمتُ عن حكم المنافقين في الدنيا وما يجب أن يطبق عليهم من أحكام دنيوية أود أن اقول بأن حكمهم في الآخرة هو أمر عائد إلى الله سبحانه وتعالى حيث إن في ذلك اليوم، أي يوم القيامة يكون فيه الناس في ظلمة من أمرهم إذ يبعث الله سبحانه وتعالى نوراً فلما يرى المؤمنون النور الذي بعثه الله سبحانه توجهوا نحوه وكأنَّ هذا النور هو دليل من الله إلى الجنة، فهذا هو النور الذي يمشي به المؤمنون على الصراط المستقيم(٢). فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فإنا كُنَّا معكم في الدنيا، قال المؤمنون:- ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور(٣) وهذا المشهد صورهُ القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾.(٤) وهناك صورة أخرى تبين بأن الله سبحانه وتعالى كيف كان يستهزئ بهم: [عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال:- إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فَتح الله من الجنة باباً على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فإذا رأى المنافقون الباب مفتوحاً أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون إلى

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٧٣-٧٤ .
(٢) ينظر التفسير الواضح: ٢ /١٥٥.
(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧/٢٢٤-٢٢٦ .
(٤) سورة الحديد الآية: ١٣ .

الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فإذا وصلوا إلى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**﴾ .[١] وهذا هو الاستهزاء] [٢].

في الحقيقة أن القرآن الكريم تحدث وبكل صراحة عن عقوبة المنافقين في الآخرة في قوله تعالى:-

﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا** ﴾.[٣]

لذلك تكون آخر العقوبة للمنافقين هي ادخالهم إلى الدرك الأسفل من النار؛ وذلك لأنهم أضافوا إلى كفرهم الاستهزاء بالإسلام وأهله، وجمعوا بسوء أطباعهم بين الكفر والخداع والفسق وإشاعة الفَاحِشَة في صفوف المسلمين، وغير ذلك من رَذائلهم المتعددة وقبائحهم المتنوعة[٤]. فحق عليهم الدرك الأسفل من النار. قال الإمام الشَّوكاني– رحمه الله– الدرك تعني الطبقة، والنَّار دركات سبع فالمنافق في الدَّرك الأسفل منها وهي الهَاوية، لغلظ كفره وكثرة غوائله.

وأعلى الدركات جهنم ثم الحُطَمَةَ، ثم السعير، ثم سقر ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقد تسمى جميعها الطبقة العُليا– أعاذنا الله من عذابها. (ولن تجد لهم نصيراً) يخلصهم من ذلك الدرك[٥]. والتخلص من هذا الوعيد الشديد لهؤلاء المنافقين هي التوبة كما قال تعالى:-

﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً** ﴾.[٦] أيها المنافقون: توبوا واصلحوا

---

(١) سورة المطففين الآيتان: ٣٤ و ٣٥ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٦١/١ .

(٣) سورة النساء من الآية: ١٤٥ .

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الطنطاوي، محمد السيد ٤٧٥/٣، مطبعة السعادة، ط٢: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

(٥) فتح القدير: ٥١٩/١ .

(٦) سورة النساء الآية: ١٤٦ .

واعتصموا بالله تعالى باتباع رسالته واخلصوا في التدين لله وحده فإن الله غفور رحيم.

الخاتمة

بعد صحبة آن لها أن تنتهي وآن للمداد أن يجف على الورق، وقبل أن أضع الرِّحال لا بد من وقفة قصيرة، أضع فيها بين يدي القارئ حصاد رحلة قصرَ المسافر فيها واتسع الميدان، وأنىّ لمثلي على قلة الزَّاد وضعف المجهود أن أكون من كتاب الله عز وجل بمكان الناظر المتأمل، اللهم اغفر لي جرأتي وتجاوز عن هفوتي. بعد هذه الجولة ظهرت لنا عدة نتائج تناثرت بينَ طيَّات البحث نوجزها بالآتي :

١. تعريف النفاق في اللغة والاصطلاح، وتكاد التعريفات الاصطلاحية تقترب وتتفق مع التعريفات اللغوية.
٢. ان للمنافقين صفات منها الكذب والخداع والإفساد والاستهزاء لذلك فان النفاق أشنع من الكفر الصريح، وذلك لضمه هذه الصفات.
٣. بعد هذا كلهُ يخرج البحث بنتيجة هي ان الله عز وجل حكم على هؤلاء المنافقين في الدنيا بالاستهزاء بهم والله يمدهم في الطغيان.

أما في الآخرة وهي نهاية المطاف فهم في قعر النار والدرك أسفل من النار فلا يخفف عنهم العذاب.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ [١] .

والآن اشعر بأن الزاد قد نفد وآن لرحلتنا أن تنتهي، واسأل الله أن يجعل عملي هذا ثمرة يانعة من شجرة باسقة متمثلة بنفع المسلمين، وأن يكتب عملي هذا في ميزان حسناتي إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

المصادر والمراجع

١- سورة النساء الآية : ١٤٥

❖ القرآن الكريم.

١. أحكام القرآن: ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد السلام، (ت٥٤٣هـ) دار الفكر.

٢. أدب الدنيا والدين: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري.

٣. الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام للطباعة، ط١: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.

٤. الاعلام: الزركلي، خير الدين، ط٣

٥. تاج العروس: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق مجموعة من الاساتذة.

٦. التعريفات: الجرجاني، الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني (ت٨١٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٧. تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت٩٥١).

٨. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.

٩. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: البغدادي، لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم، (ت٧٢٥هـ) مطبعة البابي الحلبي بمصر، ط٢: ١٧٣٥هـ- ١٩٥٥م.

١٠. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أومفاتيح الغيب: الرازي، الإمام محمد فخر الدين بن الامام ضياء الدين عمر، (ت٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت.

١١. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الدين، دار الكتب العربية، ط١: ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

١٢. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي الرمشقي (ت٧٧٤هـ) دار المعرفة، بيروت-لبنان.

١٣. تفسير المراغي: المراغي، احمد مصطفى، دار احياء التراث العربي.

١٤. التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود، مطبعة الاستقلال الكبرى. القاهرة ط٦: ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم الطنطاوي، محمد السيد، مطبعة السعادة / مصر، ط٢: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٦. تفسير سورة البقرة: أمير عبد العزيز، دار الفرقان-بيروت، ط١: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت١٣٧٦هـ)، ط٤: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) دار الكتاب العربي، ط٣: ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
١٩. جمهرة اللغة: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت،٣٢١هـ) مطبعة دائرة المعارف العثمانية- بيروت ط١، ١٣٤٥هـ.
٢٠. الجواهر في تفسير القرآن: الشيخ طنطاوي جوهري، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ط٢: ١٣٥٠هـ.
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي، (ت١٢٧٠هـ) دار الفكر، بيروت.
٢٢. سنن ابي داود: السجستاني، سليمان بن الاشعث ابو داود، (ت٢٧٥هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر-بيروت.
٢٣. صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (ت٢٥٦هـ) تحقيق الدكتور مصطفى ديب، دار ابن كثير واليمامة-بيروت، ط٣: ١٩٨٧م.
٢٤. صحيح مسلم: القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي-بيروت.
٢٥. فتح القدير: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت١٢٥٠هـ).
٢٦. فقه السيرة: البوطي، محمد سعيد رمضان.
٢٧. في ظِلال القرآن: سيد قطب، دار احياء التراث العربي، ط٣ بيروت-لبنان.

٢٨. القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب المؤسسة العربية للطباعة، بيروت–لبنان.
٢٩. لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) المكتبة الشعبية، ط٢ بيروت–لبنان.
٣٠. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار الفكر– بيروت.
٣١. لغة المنافقين في القرآن: لاشين، عبد الفتاح، دار الرائد العربي بيروت–لبنان، ط١: ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
٣٢. المزهر في علوم اللغة وآدابها: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) مطبعة البابي الحلبي، مصر . القاهرة.
٣٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٣٤. مصنف بن ابي شيبة: الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة، (ت٢٣٥هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد–الرياض، ط١: ١٤٠٩هـ.
٣٥. معجم لُغة الفقهاء: محمد رواسي قلعة حجي و حامد صادق قنبجي، دار النفائس، بيروت ط١: ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
٣٦. المنافقون في القرآن الكريم: الحميدي: عبدالعزيز عبدالله.
٣٧. المنافقون وشعب النفاق: المحامي، حسن عبدالغني، دار البحوث العلمية– الكويت، ط١ ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.
٣٨. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري تحقيق محمود محمد الطناحي.